

سُوْلَةُ الْقَبَائِنَ



النزل : مكية .

المقصاد :

- ١ - بيان حقيقة الحكمة وفضلها .
- ٢ - بيان الدلائل الباهرة على وحدانية الخالق ، وعظمته .
- ٣ - بيان أصول الآداب العالية .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّتِي ﴿١﴾ تَلَكَّءَ إِنْتُ الْكِتَبِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوَةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقَنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَعْزِيزُ عَلَيْهِ وَيَتَّخِذُهَا هُرْزًا أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ مُهِينٍ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ إِيمَانُنَا وَلَنِ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعَهَا كَانَ فِي أُذْنِيهِ وَفَرَأَ فِي شِرْهٍ بِعَدَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾

التفسير:

١ - تقدّم في مطلع سورة البقرة الكلام على الحروف المقطعة، وأنّ من الحكمة في إبرادها بيان إعجاز القرآن.

٤ - ٢ هذه الآيات ذات المقام العظيم آيات القرآن الحكيم بأحكامه ومواعظه، هدايةً للعباد إلى طريق الرشاد، ورحمةً للذين يحسنون بالأقوال والأعمال، الذين يحافظون على أداء الصلاة بأوقاتها وشروطها ويعطون الزكاة للمستحقين، وهم يعتقدون اعتقاداً جازماً دائماً بصدقاليوم الآخر.

٥ - أولئك الموصوفون بتلك الصفات الجليلة على نورٍ من ربّهم يُرشدهم إلى الحق، وأولئك أصحاب المنازل العالية، هم الفائزون في الدنيا بالحياة الطيبة، وفي الآخرة بالجنة.

٦ - ومن العباد مَنْ يستحبُّ ويختار ما يُلْهِي القلوب عن طاعة الله، مما

نهى الله تعالى عنه ورسوله ﷺ؛ ليُضِلَّ عن طريق الهدایة إلى طريق الغواية جهلاً بالإثم، ويَتَخَذُ دینَ الله سخریة. أولئك البداء عن الحق لهم عذاب مُذِلٌ في نار جهنم.

أخرج الطبرى بأسانيد يقوى بعضها بعضاً، عن جابر وغيره، في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِئُ لَهُ الْحَدِيث﴾ قال: هو الغناء والاستماع له. (وذكره ابن كثير عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبیر ومجاہد ومکحول).

٧ - هذا الم قبل على لَهُ الحدیث إذا تتلی عليه آیات القرآن أعرض عنها كِبِراً، فلا يأبه بمواعظها، ولا يعبأ بأحكامها، كأنَّه لم يسمعها، كأنَّ في أذنيه صَمَماً، فأخبره - أيها الرسول - وأنذرْه بعذاب النار الموجع.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الثناء على القرآن بهذا الوصف العظيم، وهو ﴿الْحَكِيم﴾، فليس في القرآن خبُرٌ أو حُكْمٌ سبقَ عَبَّاتاً، لقوله: ﴿الْحَكِيم﴾ لأنَّ العبث ينافي الحكمة.
- ٢ - إنَّ إقامة الصَّلاة من الإحسان؛ لأنَّ ما بعدها بيان لها ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾.
- ٣ - ذَمٌّ من يرَكُنُ إلى لَهُ الحدیث، وهو ما لا خير فيه.
- ٤ - ذَمٌّ كلٌّ ما يصدُّ عن سَبِيلِ الله؛ لقوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ الله﴾.
- ٥ - تحريم الْهُزْءِ بآيات الله.
- ٦ - الْكُفَّارُ يَحْرِصُونَ على إشغال النَّاسَ باللهِ وَاللَّعْبِ؛ ليَصُدُّوهُم عن الحق.
- ٧ - كلٌّ ما أشْغَلَ الإنسان بالباطل هو من اللَّهُو المُحرَّم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّتُ النَّعِيمِ ﴾٨﴾ خَلِيلِنَّ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾٩﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَانْبَثَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾١٠﴾ هَذَا خَلْقُ
اللَّهِ فَأَرَوْفُ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلْ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾١١﴾ وَلَقَدْ أَنْذَلْنَا لِقْنَمَ
الْحِكْمَةَ أَنْ أَشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾١٢﴾
وَلَذِّ فَالْقَمْنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعْظُمُهُ يَبْنَى لَا شُرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾١٣﴾

التفسير:

٩ - ٨ - إنَّ المؤمنين الذين يعملون الصالحات ثوابهم أجر كريم في جَنَّات النعيم، ما كثيرون فيها أبداً، وعد الله ذلك حَقًّا لا يُخالف الميعاد، وهو العزيز في ملوكته، الحكيم في تدبير عباده.

١٠ - خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ مِنْ غَيْرِ أَعْمَدَةٍ تَرَوْنَهَا ، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ
جَبَالًا ثَابِتَةً ؛ لَئَلَّا تَضَطَّرُبُ بِكُمْ ، وَنَشَرَ فِيهَا أَصْنَافًا كَثِيرَةً مِنَ الدَّوَابِّ ، وَأَنْزَلَنَا مِنَ
السَّحَابِ مَطَرًا ، فَأَنْبَثَنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ بَهِيجُ الْمَنْظَرِ ، نَافِعٌ لِلْبَشَرِ .

١١ - هذا الذي تشاهدونه هو خلق الله، فأروني - أيها المشركون - أي شيء خَلَقْتُهُ أَهْتَكُمُ التَّيْ عَبْدَتُمُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ بل هؤلاء المشركون في ضلال واضح بعيد عن الحق.

١٢ - قَسْمًا لَقَدْ أَعْطَيْنَا الْعَبْدَ الصَّالِحَ لِقَمَانَ الْحَكِيمِ الْفَقِهِ فِي الدِّينِ ،
وَالْتَّوْفِيقِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ ، وَمِنْ عِيُونِ الْحِكْمَةِ ، وَأَمْرَهُ سَبِّحَانَهُ أَنْ يَشْكُرْ لِلَّهِ
نَعْمَهُ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ وَالْفَعْلِ ، وَبَيْنَ سَبِّحَانَهُ أَنَّ نَفْعَ ذَلِكَ الشَّكْرِ يَعُودُ لِنَفْسِ
الشَاكِرِ . وَمَنْ جَحَدَ نِعَمَهُ سَبِّحَانَهُ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ شَكْرِهِ ، وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ ،
مُحَمَّدٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

١٣ - يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى وَصَائِيَا لِقَمَانَ الْعَظِيمَةِ وَالْمَوَاعِظِ الْكَرِيمَةِ - فِي
الآيَاتِ السَّبْعِ التَّالِيَّةِ - حِينَ خَاطَبَ ابْنَهُ بِقَوْلِهِ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِهِ ؛ لَأَنَّ الشَّرْكَ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَفِعُهَا مِنْ دُونِ أَعْمَدَةِ نَرَاهَا، دَلِيلٌ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.
- ٢ - الْجِبَالُ رَاسِيَةٌ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ بِأَبْعَادٍ مَحْسُوبَةٍ؛ مَمَّا يُقَلِّلُ مِنْ اضطرابِ الْقَارَّاتِ وَحَرَكَتِهَا.
- ٣ - يُنْظَرُ: صُورَةُ الْجِبَالِ، كَمَا فِي الْمَلْحُقِ.
- ٤ - بِيَانِ نِعْمَةِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ عَلَى لَقَمَانٍ بِإِعْطَائِهِ الْحِكْمَةِ.
- ٥ - شُكْرُ اللَّهِ مِنَ الْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ أَشْكُرْ﴾ هَذَا مِنْ تَفْسِيرِ الْحِكْمَةِ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ لَا شُكَّ أَنَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ.
- ٦ - الْحِكْمَةُ وَالْمَعْرِفَةُ تَقْوِيمٌ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَحْمَدِهِ وَشُكْرِهِ، وَالَّذِي لَا يُشْكُرُ اللَّهُ لَيْسَ عَالَمًاً وَلَا حَكِيمًاً.
- ٧ - فِي الْآيَةِ (١٢) إِخْبَارٌ مُسْتَقْبَلٌ عَنْ عَاقِبَةِ مَنْ يُشْكُرُ اللَّهُ، بِأَنَّ نَفْعَ ذَلِكَ الشُّكْرِ يَعُودُ إِلَى الشَاكِرِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ يَجْحَدُ شُكْرَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِهِ، غَيْرٌ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.
- ٨ - عَلَى الْأَبِّ أَنْ يَهْتَمُّ بِتَرْبِيةِ أَبْنَائِهِ وَتَوْجِيهِهِمْ وَنُصْحِحِهِمْ، وَأَنْ يُنْشِئَهُمْ عَلَى الْعِقِيدَةِ وَالْعِبَادَةِ.

﴿وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَالدِّيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهُنَّا عَلَىٰ وَهِنِّ وَفِصَّلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنَّ أَشْكَرَ لِي
بِلَوَالدِّيَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهِمَا
وَصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَانِسِثُكُمْ بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَأْكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرَدِلٍ فَتُكْنِ في صَحْرَاءَ أَوْ فِي
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمْ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ
بِالْمَعْرُوفِ وَانْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصْرِفْ
خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَنْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُوبِرِ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشِيكَ
وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

التفسير:

١٤ - وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالَّدِيْنِ وَبِرِّهِمَا؛ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ جَنِيْنَا
فِي بَطْنِهَا، وَهِيَ تَزَادُ كُلَّ يَوْمٍ ضَعْفًا عَلَىٰ ضَعْفٍ، كُلَّمَا كَبِيرَ الْحَمْلُ إِلَىٰ وَقْتِ
الْوَلَادَةِ، وَفَطَامَهُ عَنِ الرَّضَاعَةِ فِي مَدَّةٍ تَامَ عَامَيْنِ، وَأَمْرَنَاهُ بِالشَّكْرِ لِيَ عَلَىٰ
نَعْمَىٰ، وَبِالشَّكْرِ لِوَالَّدِيْكَ عَلَىٰ جَهُودَهِمَا فِي التَّرْبِيَّةِ، إِلَيَّ الْمَرْجَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
لِلْحَسَابِ.

١٥ - وَإِنْ بَذَّلَا جَهَدَهُمَا لِيَحْمِلَاكَ عَلَىٰ الشَّرْكِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ مَمَّا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَلَا تُطْعِهِمَا، وَصَاحِبِهِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْمَعْرُوفِ
وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا - وَلَوْ كَانَا مُشْرِكَيْنِ - وَاتَّبِعْ طَرِيقَ مَنْ تَابَ وَأَخْلَصَ اللَّهَ
تَعَالَىٰ، ثُمَّ إِلَيَّ مَصِيرُكُمْ، فَأَخْبَرُكُمُ الْأَخْبَارَ الْعَظِيمَةَ عَنِ أَعْمَالِكُمْ خَيْرِهَا
وَشَرِّهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

١٦ - ثُمَّ كَرَرَ خَطَابَ الْاسْعَطَافِ لِأَنَّهُ أَدْعَى لِلْإِجَابَةِ: يَا بُنْيَيَّ إِنْ كَانَتْ
الْحَسَنَةُ أَوِ السَّيِّئَةُ بِوزْنِ حَبَّةِ خَرَدِلٍ - وَهِيَ أَصْغَرُ الْحَبَّوبِ - سَوَاءً وُجِدَتْ فِي
صَحْرَاءَ، أَوْ فِي أَيِّ مَكَانٍ فِي السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، أَوْ فِي الْأَرْضِينِ السَّبْعِ، فَإِنَّ اللَّهَ
يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْسِبُ عَلَيْهَا. إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، خَبِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ.

١٧ - يَا بُنْيَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ بِأَوْقَاتِهَا وَشَرْوَطِهَا، وَأُمُّرُ النَّاسِ بِطَاعَةِ اللَّهِ

تعالى، وانهُم عن المعاصي بحکمة، واصبر على ما يصيبك من الناس حين تدعوههم لذلك. إن ذلك الصبر له شأن عظيم، وهو من الأمور التي ينبغي الحرص عليها، والتمسك بها.

١٨ - ولا تُملِّ خَدَّك للناس كِبْرًا عليهم، ولا تَمْشِ في الأرض مُعْجِبًا بنفسك؛ لأنَّ الله تعالى يكره المتكبِّر الذي يرى العظمة لنفسه.

١٩ - وتواضع في مشيتك، واحفظ من صوتك. إنَّ أقبح الأصوات لصوت الحمير حَقًّا.

الفوائد والاستنباطات:

١ - على الإنسان أن يُحسِن لِمَنْ أَحْسَنَوا إِلَيْهِ، وأن يَشْكُرَهُم على إِنْعَامِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وفي مُقدِّمة هُؤلاء الوالدان.

٢ - طاعة الوالدين مُقيَّدة بعدم معصية الله، لأنَّه لا طاعة لِمخلوق في معصية الخالق.

٣ - وجوب مُصاحبة الوالدين في الدُّنيا بالمعروف، حتى لو كانوا كافِرِينَ.

٤ - التحذير والتحذيف من المخالفات؛ لأنَّ قوله: ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ يعني: سأحاسبك أيها الإنسان.

٥ - قال الشيخ ابن عثيمين: «بلغ الغاية في البلاغة في القرآن الكريم؛ لقوله: ﴿فَأُنِيبُكُمْ﴾، ولم يُقلْ: فأجازيكم، وذلك لأنَّه قد يُبَأِ الإنسان أحياناً بما عمل، ثم يُعْفَر له، فذكر الله الإنباء؛ لأنَّه مؤكَّد، أمَّا المجازاة فإنَّ الله تعالى قد يغفر عن المذنب بذنبه». (تفسير القرآن الكريم: ١٩٨/٧).

٦ - يقول العلماء: إنَّ غاز الخردل المحضر كيميائياً - ليس بنبات - بل هو نتاج عملية كيميائية معقدة تحضر مختبرياً، وهو مهم جداً في الصناعات الكيميائية سِلْمَاً وحرباً. (إعجاز القرآن الكريم في الكيمياء: ص ٧).

٧ - أهمية الصَّلاة في حياة المؤمنين؛ إذ بدأ بها.

٨ - ذُمُّ هاتين الخصلتين: تصعير الخَدَّ للناس تكبُّراً وتعاظُماً، والمشي في الأرض مرحًا.

- ٩ - رفع الصوت في غير محله محرّم؛ لقوله:** ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتَ الْحَمِيرِ﴾، فإن هذا التشبيه يقتضي التغافل عنه.
- ١٠ - على المسلم أن يحرص على القيام بواجبه تجاه إخوانه: بأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.**
- ١١ - الصبر على ما يصيب المسلم خلق عظيم، وزاد كبير له؛ ليستمر على القيام بدعاوته.**
- ١٢ - المتكبر المختال الفخور المتعالي، مكروه عند الناس، بغىض عند الله.**
- ١٣ - المشية الجيدة هي المتوسطة المقتضدة المتوازنة، من دون بطء متأقل، ولا إسراع متلاحق.**
- ١٤ - تلمح الآية إلى أخطار التلوث البيئي بالضجيج، فقد ثبت بالقياس أن شدة صوت نهيق الحمار تتجاوز مئة ديسibel، وأن كثرة التعرض لهذا الصوت قد يصيب الإنسان بالعديد من الأمراض، ولذلك يجب أن تخصص لها أماكن بعيدة عن سكن الإنسان. (آيات الإعجاز العلمي: الحيوان في القرآن الكريم: زغلول النجار: ص ٢٩٨ - ٣١٢).**

﴿أَلَمْ تَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَحَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً، ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّعِيْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوْهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٧﴾ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ حُسْنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُورَةِ الرَّتْفِيِّ وَإِلَى اللَّهِ عَرِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْرُنَّكَ كُفُورُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنَنِسْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِذَنَاتِ الصَّدُورِ ﴿٢٩﴾ نَمِنْعُهُمْ قَلِيلًا مَّا نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِظٍ ﴿٣٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾

التفسير:

- ٢٠ - ٢١ - ألم تبصروا - أيها العباد - أنَّ الله تعالى سخر لكم ما في**

السموات من الشمس والقمر والنجوم، وما في الأرض من الحيوانات والنباتات والأنهار وغيرها، وأسبغ عليكم بنعمه الظاهرة المرئية، والباطنة في العقول. وبعض الناس مَنْ يجادل في توحيد الله بغير حُجَّةٍ وبيان، ولا كتاب مُنَزَّلٌ من عند الله تعالى في غاية الوضوح. وإذا قيل لهؤلاء الغافلين : اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، قَالُوا: لَا نَتَّبِعُ ذَلِكَ، بَلْ نَسِيرُ عَلَى طَرِيقَةِ آبَائِنَا فِي عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ . فَأَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَوَبَّخَهُمْ: أَيْتَبِعُونَهُمْ، وَلَوْ دَعَا هُمُ الشَّيْطَانُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ الْمُتَهَبَّةِ؟

٢٢ - ومن يُخلص في عبادته لله تعالى وهو محسن في أقواله وأفعاله ، فقد استمسك بالإيمان والإسلام . وإلى الله تعالى مصير الأمور كلها للحساب عليها .

٢٣ - ٢٤ - ومن جحد بالله تعالى - أيها الرسول - فلا يحزنك جُحودُه ، إلينا مصيرهم يوم القيمة ، فنخبرهم إخباراً مؤكداً عن جرائمهم كلها . إنَّ الله تعالى عالِمٌ بما تُخْفِي القلوب من خير وشر ، نُمْتَعِّهُمْ قليلاً في الحياة الدنيا العاجلة ، ثُمَّ نُلْجِئُهُمْ إلى عذاب النَّارِ الشَّدِيدِ الموجع .

٢٥ - وقسماً إن سألت - أيها النبي - هؤلاء المشركين : مَنْ خلق السموات السبع والأرضين السبع؟ قسماً سيقولون: الله . قل لهم: الحمد لله على ظهور الحُجَّةِ من اعترافكم . بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق ، فيتَّبِعُونَه .

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآية (٢٠) إخبارٌ مستقبليٌّ عن جدال بعض الكُفَّار في وحدانيةِ الخالق سبحانه بغير دليل ولا برهان .

٢ - قال الشيخ ابن عثيمين: «جواز استخدام ما في هذا الكون في السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لِمَصَالِحِنَا، لَأَنَّهُ مُسَخَّرٌ لَنَا، فَإِذَا كَانَ مُسَخَّرًا فَلَنَا أَنْ نَنْتَفِعَ بِهِ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا». (تفسير القرآن الكريم: ٢١٦/٧).

٣ - ذُمُّ الجدل بغير برهان ، لقوله : ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَىٰ وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ، وينبغي للمجادل أن يكون له دليل من العقل أو من النقل ؛ لقوله : ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ .

٤- في الآية (٢١) إخبار مستقبلي عن رد المُجَادِلِينَ في توحيد الله إذا قيل لهم: أتبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّهُمْ سَيُصْرُونَ عَلَى الشَّرِكَ.

٥- كل شيء يوجب العقوبة، فهو من تلية طلب الشيطان؛ لقوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابٍ سَعِيرٍ﴾.

٦- في الآية (٢٢) إخبارٌ مستقبلٌ عن حال مَنْ أخلصَ فِي عبادته وَقَصْدُهِ
إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَهُوَ مُحْسِنٌ فِي أَقْوَالِهِ وَمُتَقْنٌ لِأَعْمَالِهِ، فَإِنَّهُ قد أَخْذَ بِأَوْثَقِ
سَبِيلٍ مُوصِلٍ إِلَى رَضْوَانِ اللهِ وَجَنَّتِهِ .

٧- الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ أَنْ يَصْبِرَ؛ لِأَنَّ الْعَاقِبَةَ لَهُ، فَلَا يَتَعَجَّلُ، أَوْ يَسْتَعْدِدُ بِالْفَرْجِ، أَوْ يَسْتَعْدِدُ بِالنَّصْرِ.

٨- ينبغي للإنسان مراقبة الله تعالى دائماً؛ لقوله: ﴿عِلْمٌ بِذَاتِ الْأَصْدُورِ﴾.

٩ - التمتع في الدنيا قليل في زمانه ونوعه. أمّا زمانه فظاهر كاتبهم يوم يرون ما يُوعذونَ لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ [الأحقاف: ٣٥]، وأمّا نوعه فقد قال النبي ﷺ: «لَمْ يَرْضِيْ سُوْطَ أَحَدَكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

١٠- حَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مُسَخَّرًا لِبْنِي آدَمْ، وَحَلَقَ بْنِي آدَمْ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ.

١١- نِعْمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ لَا تُخْصِي، مِنْهَا الظَّاهِرَةُ وَمِنْهَا الْبَاطِنَةُ، وَيُجْبِي
عَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَيْهَا.

١٢ - الكافر يُجادل بالباطل، ويُشرك به، ولا يَجِد دليلاً نقلياً أو عقلياً
يعتمد عليه.

١٣ - على الإنسان أن يتبع الحق، مهما كان قائله، وأن يرفض كُلَّ ما يتعارض معه، مهما كان صاحبه.

٢٦ - ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمُهُ وَالْبَحْرُ يَمْدُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْخَرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَا خَلَقْتُكُمْ إِلَّا كَنَفِسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ أَللَّهُ تَرَأَنَ اللَّهَ يُولَجُ أَيَّلَ فِي النَّهَارِ وَيُولَجُ النَّهَارَ فِي الظَّلَلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلُّ يَجْرِي إِلَيْهِ أَجَلٌ مُسَمٌّ وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝﴾

التفسير:

٢٦ - الله تعالى ملكوت ما في السموات السبع والأرضين السبع. إنَّ الله هو الغني عن غيره، المحمود في الدنيا والآخرة.

٢٧ - ولو تحولت كلُّ أشجار الأرض أقلاماً، وصارت مياه البحار مداداً، فكتبت بها كلمات الله، لفَنِيت تلك الأقلام، وانتهت البحار، ولم تنته كلمات الله تعالى الدالة على سعةِ عِلْمه. إنَّ الله عزيز في ملکوته لا يعجزه شيء، حكيم في تدبير خلقه.

٢٨ - ما خلَقْتُكُمْ أَيُّهَا الْعِبَادُ، وَلَا بَعْثَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا كَخَلْقِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَبَعْثَهَا. إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِلأَقْوَالِ، بَصِيرٌ بِالْأَحْوَالِ.

٢٩ - ألم ترَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُ كُلَّاً مِنَ الظَّلَلِ وَالنَّهَارِ فِي الْآخِرَةِ، فَيُزِيدُ فِي أَحَدِهِمَا وَيَنْقُصُ مِنَ الْآخِرِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنَ الْأَعْوَادِ، فَكُلُّ مِنْهُمَا يَجْرِي فِي فَلَكِهِ إِلَى وَقْتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِكُلِّ مَا تَعْمَلُونَ مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ ذُو خَبْرَةٍ شَامِلَةٍ؟

٣٠ - ذلك المُشَاهِدُ من آتَيَ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ اللَّتَيْنِ لَا تَغَادِرُانِ حِيَاةَ الْعِبَادِ؛ لَتَؤْمِنُوا، وَتَتَقَرَّبُوا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ إِلَهُ الْحَقِّ الَّذِي يُجَبِّ أَنْ يُعْبَدُ وَحْدَهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا يَعْبُدُ الْعِبَادُ مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَأَنَّهُ سَبَّحَهُ هُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ فَوْقَ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ، الَّذِي لَهُ الْكَبْرَىءِ فِي ذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الكُفَّار يعترفون بوجود الله، وأنَّه الخالق لكل شيء، وما يتَرَدَّدون فيه هو توحيد الله، ولهذا يُشْرِكُون به غيره من المخلوقين.
- ٢ - الواحِدُ والجَمَاعَةُ والقليلُ سواء عند الله، لأنَّه يقول للشيء: كُنْ، فيكون.
- ٣ - يَجِبُ وصف الله بكلٌّ كمال، وأنْ نُسَمِّيه سبحانه بما سَمَّى نفسه من الأسماء الحُسْنَى، فهو عزيزٌ حَكِيمٌ، سميعٌ بصيرٌ، غنيٌّ حميدٌ.
- ٤ - يقول العلماء: ترشد الآية إلى أحد الاستخدامات الهامة للنبات وهي صناعة الأفلام. ومن قديم الزمان والإنسان يستخدم النبات في هذه المهمة، وقد دَلَّتْ خبرته على أفضل أنواع النباتات المستخدمة في ذلك وهو نبات الغاب (البوص)، وحديثاً يصنع من أخشاب القلم الرصاص. (الإشارات العلمية في القرآن الكريم: علم النبات في القرآن الكريم : الدكتور السيد عبد الستار المليجي ص ٢٧٩).
- ٥ - تعاُقبُ الليل والنهر من آيات الله، وعلى المؤمن أن يُلْتَفِتَ لها، ويُفَيدَ منها.
- ٦ - نَظَمَ الله حَرَكَةَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْأَرْضِ وَالنَّجْوَمِ، وَقَدَّرَهَا تَقْدِيرًا، وَجَعَلَهَا تَسِيرَ بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَّةٍ.
- ٧ - ينظر: مخطط جريان الشمس والقمر، كما في الملحق.

اللَّهُ تَرَأَنَ الْفُلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنَعْمَتِ اللَّهِ لِرِبِّكُمْ مِنْ أَيْتَتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيْنَ لِكُلِّ
صَبَارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيْهِمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخَاصِيْنَ لَهُ الدِّينَ فَمَا يَحْتَمِمُ إِلَى
الْبَرِّ فِيْهِمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَحْمَدُ بِغَایْبِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَائِيْهَا النَّاسُ أَتَقْوَرَبُكُمْ
وَأَخْشَوْهُمْ لَا يَجْزِي وَالْدُّنْعَ عنَ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنَ وَالْدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
فَلَا تَغْرِيْنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِيْكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ
وَيَنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حِلْمٌ حَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

التفسير:

٣١ - ألم تنظر - يا عبد الله - أنَّ السفن تسير في البحر بِلُطفِ الله ورحمته؛ ليりَّكم سبحانه من عظيم آياته وعجائب قدرته؟ إنَّ في ذلك الأمر العظيم لِعَلَاماتٍ تَدُلُّ على وحدانيته سبحانه لـكُلِّ صَبَارٍ على طاعة الله، شَكُورٍ على نِعَمه العظيمة.

٣٢ - وإذا هاجت أمواج البحر عند ركوب المشركين السفن، وغَطَّاهم الموج العالي كالجبال والعمام أَخْلَصُوا دعاهم الله تعالى، واستغاثوا به سبحانه، فلما أنقذهم إلى البر صاروا فريقين، أحدهما: لم يشكر الله تعالى على وجه الكمال، والآخر: رَجَعَ إلى كفره، وما يُكَذِّبُ بآيات الله تعالى إلا كل غَدَّار خائن شديد الجحود لفضل الله تعالى عليه.

٣٣ - يأمر الله تعالى البشر بطاعةه، واتّباع أمره، والخوف من يوم القيمة للحساب، حين لا يُعني كُلُّ والد عن ولده، ولا ينفع ولدُ والدِه بشيء، وحَذَّرُهم سبحانه من الانخداع بالدنيا وملذاتها، ومن خداع شياطين الإنس والجن ومُكْرِّهم للبعد عن الإيمان بالله تعالى.

٣٤ - إنَّ الله وحده عنده عِلْمٌ وقت قيام الساعة، وهو الذي يُنْزِلُ المطر بأمره، ويعلم ما تحمل أرحام الإناث من الأجيَّنة وأحوالها، ويعلم ما تُكَسِّبُه

كُلُّ نَفْسٍ فِي عَدِّهَا، وَمَا تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ بِأَيِّ مَكَانٍ تَمُوتُ، بَلَّ اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِهَذَا الْعِلْمِ。إِنَّهُ سَبَحَنَهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، خَيْرٌ بِأَحْوَالِ النُّفُوسِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: يارسول الله، متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحذّرك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربّتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْهُ عِلْمٌ أَسَاعَةٌ وَيَرِدُّ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْضِ﴾. ثم انصرف الرجل، فقال: رُدُوا علىي. فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء ليعلّم الناس دينهم.

(صحيح البخاري / ٨ - ٣٧٣) - كتاب التفسير - سورة لقمان، (الآية) برقم ٤٧٧٧ . وصحيح مسلم / ١ / ٣٩ - ٤٠ / ١٠ - كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان).

الفوائد والاستنباطات:

- ١** - في الآية (٣١) إخبار مستقبلي عن الحكم في جريان السفن في البحر بأمر الله، وذلك ليري عباده من عبره وحججه عليهم.
- ٢** - يُري الله الناس آياته، من خلال نعمه وعطياته ورحمته، لكن لا يلتفت لها إلا المؤمن.
- ٣** - على المؤمن أن يجمع بين الأمرين المتقابلين: الصبر على الشدة، والشُّكر على النعمة.
- ٤** - الكافر لا يعرف الله إلا عند الشدة، وهو ينقض عهده مع الله عند الرّباء.
- ٥** - في الآية (٣٢) إخبار مستقبلي عن حال المشركين فيما إذا ركبوا السفن، وعلّتهم الأمواج من حولهم كالسُّحب، فإنّهم يصابون بالخوف،

فيفزعون إلى الله، ويُخْلِصُون الدعاء له، وإذا نَجَّاهم إلى البرّ فمنهم مَنْ لم يشكِر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها.

٦ - عدم الانخداع والاغترار بالحياة الدنيا وزيتها، لأنَّها تُنسى الآخرة.

٧ - الحذر من الشَّيْطَان ووساوسيه وتزيينه؛ لأنَّه لا يَعِدُ النَّاسَ إِلَّا غروراً.

٨ - مهما بَلَغَ الإِنْسَانُ مِنَ الْعِلْمِ فَإِنَّ عِلْمَهُ لَا يَكاد يُذَكِّرُ أَمَامَ مَا يَجْهَلُهُ، ويُخفيه الله عنه.

٩ - في الآية (٣٤) إِخْبَارٌ مستقبلٍ بِأَنَّ اللَّهَ وحده يعلم ما في أرحام الإناث. وفيها إِخْبَارٌ مستقبلٍ آخر، وهو أَنَّ اللَّهَ وحده يعلم ما تكسبه كُلُّ نفسٍ في غدها. وفيها إِخْبَارٌ مستقبلٍ آخر: وهو أَنَّ اللَّهَ وحده يعلم بأَيِّ أَرْضٍ تموت الأنفس.